بلاغة الإيقاع في الحديث النبوي الشريف- نماذج تطبيقية

Rethoric of the Rhythm in the El Hadith Enabaoui Echarif - Application models

الدكتورة آسية داحو
جامعة لونيسي علي -البليدة 2 .
الجزائر
assiadahou@yahoo.com

تاريخ الاستلام 2018/05/30 تاريخ القبول2018/06/03

ملخص الّدراسة::

الإيقاع هو تردد ظاهرة صوتية ما على مسافات محددة النسب، تكسب في الأذن نغما و ذوقاً موسيقياً رائعاً، و قد كان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم يطرق الأسماع فتصل القلوب التي تعي ما يقال و تسعى إلى الامتثال ، وقد استعان رسولنا الكريم لتحقيق هذا الإبلاغ و التأثير بمجموعة من تقنيات التعبير النبوي و يتعلق الأمر بالجانب الموسيقي الإيقاعي و الذي يتجاوز إحكام النطق و كيفية الأداء بالمحسنات اللفظية من سجع و تكرار إلى ترتيب الكلام ترتيباً نفسياً يوافق اهتزاز المشاعر و تموجات النفس.

ففيما تتمثل جماليات الإيقاع في الحديث النبوي الشريف؟

الكلمات المفتاحية :الإيقاع- التكرار- السجع.

Key words: Rhythm ; Repetition;Assonance.

Rhythm is the frequency of a sound phenomenon at specific distances, gain in the ear and a wonderful musical taste, and has been the talk of the Prophet peace be upon him knocking the ears and reach the hearts that are aware of what is said and seek to comply, has used our messenger to achieve this and The influence of a group of techniques of prophetic expression is the rhythmic musical aspect, which transcends pronunciation and how to perform with verbal optimizations of Assonance and repetition of the order of speech, a

psychological arrangement that corresponds to vibration of emotions and self.

تقديم:

الحمد لله الذي أنزل القرآن و علم البيان و صلى الله على من أوتي جوامع الكلم و روائع الحكم، محمد بن عبد الله إمام البلغاء و سيد الفصحاء

وبعد ؛

يزخر القرآن الكريم بالقيم الجمالية، ومما لاشك فيه أن السنّة النبوية القولية تأتي في المحل الثاني، فهي المصدر الثاني في التشريع الإسلامي بعد كتاب الله العزيز، وعلم الحديث من العلوم الأساسية المهمة في فهم الشريعة الإسلامية وأحكامها وفيه تفسير كتاب الله، ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾، وفيه أخبار الغيبيّات وما يتعلّق بالكون والحياة، فضلا عمّا يحتويه من عِبَرٍ وأخلاق وأحكام تتجاوز الأحكام الشرعية لتشمل الاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك. وفيه أيضا شمول للغة العرب، وتوضيح لغريبها، فقد كان صلوات الله عليه وآله وسلّم يخاطب كل قوم ويكاتبهم بلغتهم فيتكلم مع كل ذي لغة غريبة بلغته، ومع كل ذي لغة بليغة ببلاغته، اتساعا في الفصاحة، واستحداثا للألفة والمحبّة، فكان يخاطب أهل الحضر بكلامٍ ألين من الدهن وأرق من المزن، ويخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب وأرهف من العضب. وهو في كلِّ ذلك ﴿**ما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى**﴾، وهذا هو حال من أوتي القرآن وثلثه معه.

ولعل ما اتصف به الرسول الكريم صلى الله عليه وآله من بلاغة قول وفصاحة منطق وكلام مؤثر مستمدّ من بيئته القرشيّة: «**أنا أفصح العرب بيد أني من قريش**».

كما عرف "الرماني" البلاغة بقوله: " إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ " (1) وقد كانت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تطرق الأسماع فتصل إلى القلوب التي تعي ما يقال وتسعى إلى الامتثال.

وقد استعان صلى الله عليه وسلم لتحقيق هذا الإبلاغ والتأثير بمجموعة من تقنيات التعبير، أهمها وضوح المعنى ومراعاة مقتضى الحال والتصوير وجزالة الألفاظ، وسنحاول في هذا البحث الوقوف على خاصية من خصائص التعبير النبوي ويتعلق الأمر بالجانب الموسيقي الإيقاعي والذي يتجاوز إحكام النطق وكيفية الأداء بالمحسنات اللفظية من جناس وسجع و تكرار وتجنيس إلى" ترتيب الكلام ترتيبا نفسيا يوافق اهتزاز المشاعر و تموجات النفس "(2). وهو ما يسمى بالموسيقى النثرية الخفية.

وعلى هذا الأساس تكون إشكاليتنا المطروحة : فيما تتمثل جماليات الإيقاع في الحديث النبوي الشريف؟

- **إحكام النطق وكيفية الأداء:** اتصف الرسول صلى الله عليه وسلم بمجموعة من صفات الفصحاء، من بينها ضلاعة الفم و حسن الصوت فعلى مستوى حسن الصوت، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: " كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل، أو ترسيل "(3).

أما على مستوى ضلاعة الفم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، فيعطي لكل كلمة حقها ومستحقها من حيث المخارج وإشباع الحروف. هذا إضافة إلى حسن الأداء حيث كان يعتمد التمهل والإبانة وإعادة الكلام ثلاثاً، و ورد في الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم " إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم، سلم عليهم ثلاثاً "(4). هذا إضافة إلى اعتماد نبرة الصوت للتمييز بين مختلف وضعيات الخطاب (الترغيب، الترهيب، النصح، الإرشاد، الخطبة، الحرب)، والاستعانة بالإشارة والحركة المعبرة.

- **الموسيقى النثرية الخفية:** يقول الدكتور "محمد رجب البيومي" في كتابه البيان النبوي: " الموسيقى النثرية ليست حركة لفظة وإنما هي كالموسيقى الشعرية صورة حركة نفسية أو هي ترجمة صوتية عن ترجمة للكاتب من شأنها أن تعين اللغة والكلمات على أداء المضمون الروحي للكاتب، وبعبارة أخرى أن تعبر الألفاظ عن المعاني بذواتها فإذا نسقت هذه الألفاظ تنسيقا خاصا اكتسبت من موسيقاها معاني جديدة، وهذا هو

الذي يقصده البلاغيون من ألفاظ العذوبة والرقة والجزالة والفخامة، والطلاوة والسماحة التي تفصح عن موسيقى الأدب وأثرها في نفوسهم "(5) .

كما تتجاوز الموسيقى المحسنات البديعية من سجع وجناس وتواز ومقابلة إلى ترتيب الكلام ترتيبا نفسيا، يوافق اهتزاز المشاعر، وتموجات النفس بأن يعبر الأديب عن خواطر تطرد وتتدفق منسجمة في نسق خاص، فكأن سلكا خفيا ينظمها نظم الدر، وهذا ما يعرف بالموسيقى الخفية.

ومن جماليات هذه الموسيقى أن القارئ لو سكت فجأة لشعر السامع بوجود نشاز ما، ولعل هذا الحديث النبوي الشريف مثال جلي في ذلك، روى مسلم من حديث "عبد الله بن مسعود" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **عليكم بالصدق، فإنّ الصّدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا** " (6).

ففي الحديث تنسيق محكم للمعاني في معرض دقيق من الألفاظ، حيث تشعر ببناء محكم لو حذفت لبنة لانهار الجدار بأكمله، إنه بمثابة سلم نصعد أدراجه الواحدة تلو الأخرى ونترقى من فكرة إلى أخرى وفق ما يتصور الذهن وما يناسب الإحساس (7).

-الموسيقى الداخلية للألفاظ و العبارات:

1_ التكرار: يعدّ التكرار من الأساليب الفنية في التعبير الأدبي، ومن أعمق ظواهر الحياة (8)، وهو أسلوب تعبيري قديم قدم العربية، ولهذا كثر في أساليب العرب قبل الإسلام، ومثّل أحد أساليب التعبير القرآني، وقد تحدث البلاغيون، وكشفوا عن أشكاله، واستنبطوا حدوده. وهو في التعبير الأدبي يعني تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغماً موسيقياً، يتقصّده الأديب في شعر أو نثر (9)، و يعمدُ إليه لتقوية ناحية الإنشاء أي: ناحية العواطف، كالتعجب، والحنين، و الاستغراب، وما إلى ذلك (10).

وقد درس البلاغيون العرب هذه الظاهرة وتنبهوا إليها عند دراستهم لكثير من الشواهد؛ شعريةً كانت أو نثرية، وبيّنوا فوائدها ووظائفها (11)، فجاءت دراسة هذه الظاهرة محاولةً لكشف هذه القوالب الفنيّة لبيان أبعادها ودلالاتها على اختلاف مواقعها سواء أكان في الصوت أو الكلمة أو العبارة أو الجملة.

والتكرار في الاصطلاح هو "تكرار الكلمة أو اللفظة أكثر من مرّة في سياق واحد لنكتة إما للتوكيد أو لزيادة التنبيه أو التهويل أو للتعظيم أو للتلذذ بذكر المكرر" (12)، و"أكثر ما يقع في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل" (13) فيتحدد مفهوم التكرار في أبسط مستوى من مستوياته بأن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثم يعيده. وهذا من شرط اتفاق المعنى الأول والثاني، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس وكذلك إذا كان المعنى متحداً وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفاً، فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين (14).

ويعدّ التكرار وسيلة مهمة لفهم النص الأدبي، وله معان تفيض عن التقرير وتقوية جوانب الخطاب في العمل الأدبي، لاسيما إذا كان ذلك التكرار سمة عامة تتوشح بها كثير من نصوص الأديب كما هو الحال في الأحاديث النبوية الشريفة. ويتضمّن إمكانات تعبيرية لا يتضمّنها أسلوب آخر، إذ يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة (15)، ويثري العاطفة ويرفع درجة تأثيرها، ويركّز الإيقاع ويكثّف حركة الترديد الصوتي في النص (16). ويمنح النص جمالا موسيقياً.

والتكرار في الخطاب الأدبي وحدةٌ لغوية غير جامدة المعنى، إذ تكتسب هذه الوحدة اللغوية المكررة معنى مضافا إلى معناها الأوّل، يحدده السياق الذي ترد فيه، والكلمة وإن تكررت هي نفسها إلا أنها لا تحمل معناها الكلي في حالة التكرار؛ لأن الخطاب الأدبي لا يعرف التكرار الدلالي المطلق، والتكرار الكلي في نصٍّ فني مستحيل (17)، لذلك نراه يتجاوز الوظيفية التأكيدية الإفهامية ليصبح تقنيّةً جماليةً تختلف درجتها وطريقتها من نص لآخر، بل نجده يتلون ويتغير في النص ذاته، مرتديا في كل مرة مسوحا مختلفة حتى عند الأديب الواحد عينه، وهو ليس مجرد تقنية بسيطة ذات

فائدة بلاغية أو لغوية محدودة، إنما هو "تقنية معقدة تحتاج إلى تأملٍ طويلٍ يضمن رصد حركيّتها وتحليلها" (18) ، لاسيما إذا استعملت لأغراض يتقصّدها المتكلم للتأثير في المتلقي وجذب انتباهه والتأثير عليه.

وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية "هو تقرير المكرر وتوكيده و إظهار العناية به ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين" (19)، لذلك هو لا يقوم فقط على مجرد التكرار وإنما ما يتركه من أثر انفعالي في نفس المتلقي، وبذلك فإنه يعكس جانباً من الموقف النفسي والانفعالي، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار داخل النص الذي ورد فيه، فكل تكرار يحمل في أثنائه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الأدبي(20).

وبما أن الجمال يقوم على الانسجام، وان الانسجام كله مداره على التنويع والتكرار، لذا فإنّ التكرار يمثل إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد الأديب على تكوين موقفه وتصويره، فتتشكل بأشكال مختلفة متنوعة، إذ تبدأ من الصوت وتمتد إلى الكلمة ثمّ إلى العبارة ثم الجملة، وكل شكل من هذه الأشكال يعمل على إبراز جانب تأثيري خاص للتكرار انطلاقاً من معطياتها ومستويات أدائها وتأثيرها، فضلاً عن أثرها الدلالي التقليدي الذي أطلق عليه تسمية التوكيد(21).

أ- تكرار الصوت: الأصوات اللغوية معقّدة إلى أقصى حدّ، فهي"ذات جوانب متعددة وخصائص متباينة" (22)، ومن الصعب إخضاع تكرارها لقواعد نقدية ثابتة يمكن تعميمها على النص الأدبي، وإنما تبقى دراستها ذوقية لا تملك البرهنة لإثبات وجاهتها، لاختلاف دلالة الحرف التي يحدثها ضمن السياق في النص الواحد.

وعلى الرغم من أنّ تكرار الصوت يحدث نغمة موسيقية لافتة للنظر، لكنّ وقعها في النفس لا يكون كوقع تكرار الكلمات (23)، ومع هذا فالصوت ذو الرنين غير المحدد "يتحوّل إلى كلام مفصّل محدّد، مهمته أن يعبّر عن تصورات وأفكار، ويكون علامة على باطنٍ رحيٍّ" (24)، وتكرار هذا النوع والترديد الصوتي له تمنح الإيقاع الموسيقي سرعة، معبّرةً عن دلالة الانفعال (25)، فيكسب النصّ تأثيرا كبيرا في المتلقي ويسهم في تهيئته للدخول في أعماق الكلمة (26). ولا شكّ في "إن العنصر الذي يتردد

أقوى من العنصر المفرد" (27) وبذلك يكسب حضوراً وتأثيراً في نفس المتلقي فيجعل من التكرار وظيفة جمالية ووسيلة إلى إثراء الموقف وشحذ الشعور إلى حد الامتلاء (28).

- **صوت السين:** وهو من الأصوات (الرخوية المهموسة) ، و يَحدث هذا الصوت باندفاع الهواء حتى موضع خروجه، إذ اللسان منخفض قليلا وهو تجاه سقف الحنك، وطرفه قريب من الأسنان السفلى يكاد يلاصقها، وأسنان الفكين متلاقية تماما، والحنك اللين المرتفع يسدّ طريق النفَس من الحلق، وإذ ينطق بصوته ينفذ الهواء ولا يتذبذب الوتران الصوتيان (29)، والصوت اللغوي الذي ينطق بهذه الحالة يسمى مهموسا (30)، وهو من أصوات الصفير، لانّ مجرى هذه الأصوات يضيق جدا عند مخرجها فتحدث عند النطق بها صفيرا عاليا لا يشاركها في نسبة علو هذا الصفير غيرها من الأصوات.

ويتجلّى الانسجام صوتيّا فيما يحمله من معنى، حتى إن علماء العرب لم يعنوا من كل حرف أنه صوت، إنما عناهم من صوت الحرف انه معبِّر عن غرض في سياق، وأن أصوات الكلمة العربية فيها تخصّص في إطار التركيب، فيستقلّ كلّ صوت من أصواتها ببيان معنى خاص مادام يستقلّ بإحداث صوت معيّن، وكلّ صوت له ظل وإشعاع (31)، والسين بصوته المهموس الخفي الضعيف يستعمله المتكلم الأريب لبثِّ ما يريده في المتلقي برويّة وهدوء، فضلا عن جلب لانتباهه بما يحويه من خاصيّة الصفير، فالإيقاع "ليس نغمات مكررة فقط، بل هي تصوير لجوّ المعنى طلبا للتواصل المستمر بين المخاطَب والموضوع" (32).

- **صوت العين:** وهو صوت مجهور مخرجه وسط الحلق (33)، متوسط بين الشدّة والرخاوة (34)، ويسمع صوتها باندفاع الهواء من بين الوترين الصوتيين يهتزّ معه الوتران و إذا اندفع الهواء بانفراج الوترين فجأة وتبدد الهواء في فراغ الحلق، واللسان في هذه الحالة متراجع إلى الوراء قليلا وسقف الحنك اللين مرتفع أثناء نفاذ الهواء.

وهو من أصوات الحلق التي يُسمع لها نوع من الحفيف عند النطق بها، و من الأصوات المنخفضة التي صفتها الضعف، لتجتمع في هذا الصوت كل من قوة الجهر وضعف الانخفاض، مع ما بها من حفيف، ليعبّر بها عن التوجيه والتذكير والتعليم، إذ

تحتاج هذه المعاني للتعبير عنها إلى لين يؤديه ضعف الانخفاض وما بها من حفيف، وقوّة يؤديها ما بها من جهر(35).

تعتبر ألفاظ الرّسول صلى الله عليه وسلم منسجمة الأصوات والحروف، وتتمتع بجرس موسيقي هائل يريح الأذن ويتناسب والسياق، ويتضح ذلك من حديث "البراء بن عازب" الذي رواه البخاري أن الرّسول صلى الله عليه وسلم قال: " يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل : **اللّهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيرا**" (36) . ففي الحديث كرر حرف التاء اثنتي عشرة مرة وهو صوت مهموس يتناسب وجو النوم الهادئ حيث الطمأنينة والسكينة مادام العبد يتوجه إلى الله عز وجل ويسلم نفسه إليه وهذا سر تكرار لفظة " إليك " التي كانت بمثابة قفل أو فاصلة تنهي مقاطع الحديث (37).

والملاحظ هنا أن تكرار هذه اللفظة لم يشن الكلام، بل زانه وأكسبه جمالا وإيقاعا موسيقيا. وهذه الألفاظ لا بد أن تتشاكل المعاني و تتناسب معها حيث يخدم إيقاع اللفظ معناه ودلالته. ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن حبان من حديث ابن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " **إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** "(38).
فكلمة يغرغر هنا ساعدت على تصوير المعنى وتقريبه إلى ذهن السامع لأنها تحكي صوت من يحتضر ويصارع الموت (39).
وسنحاول التفصيل لهذا فيما يلي:

ب-تكرار اللفظة: لا شكّ في أنّ لكلّ كلمة وظيفتها ودلالتها داخل النصّ الأدبيّ الذي يحتويها، فإذا ما كُررت لفتت إليها الانتباه وأكّدت ما جاءت من أجله أوّل مرّة، فضلا عن خلق تناغم موسيقيٍّ بين أجزاء النص الأدبي، فيعمل هذا التناغم على التنسيق بين الألفاظ ومعانيها؛ لتحقيق الغاية التي يريد المبدع إيصالها إلى الآخرين. (40)

وقد ورد هذا النوع من التكرار في الأحاديث النبوية الشريفة بشكل كبير، فزاد من قوة المعنى وتأكيده من جانب، وعمل على خلق موسيقى ذات رنين إيقاعي مميز

قوامه انتظام الأصوات المفردة وتكرارها في السياق من جانب آخر، ما أضفى على سياق النص جمالية موسيقيّة نتيجة أصوات الألفاظ المكررة وتواليها على السمع، وذلك أدّى إلى إحداث رنين موسيقي تدبّ فيه السلاسة والجمال(41).

ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» (42)، فلأنّ الأهل هم الأحقاء بالبِشْر وحسن الخلق والإحسان وجلب النفع، ودفع الضرر، ولأجل التنبيه على أنّ أعلى الناس رتبة في الخير وأحقهم بالاتصاف به هو من كان أحسن الناس لأهله؛ كررت لفظة (خيركم) ثلاث مرّات، ولفظة (أهل) مرتين في جملة مجمل كلماتها ست كلمات، والهدف من هذا التكرار هو تأكيد للون من ألوان المعنى، فضلاً عن إحداث أثر موسيقي يكون وقعه في النص مثيرا للانتباه ومؤثرا، إذ تتوالى الألفاظ نفسها من دون فاصل مرّة وبفاصل مرة ثانية، ما يقوّي الصوت والدلالة معا، وتكون إعادتها على هذا النحو تأكيدا عليها لأداء غرض معين هو النصح والوعظ والتذكير، إذ أن تكرار المتكلم للفظة وإلحاحه عليها ينبّه المتلقي ويوقظه لما يريد بثّه من معنى فيه(43).

وربما تُكرّر ألفاظٌ بعينها في سياق الكلام لإحداث أثرٍ موسيقي في النصّ عن طريق انتظام الأصوات المفردة وتكرارها.

ج-**تكرار العبارة:** إن كان للفظة المكررة أثرها المهم والواضح في المتلقي من حيث الوقع الموسيقي؛ فان للعبارة المكررة وما تحدثه من أثر جمالي نابع من فنية تكراراها على نسق تعبيري معين أثراً أكبر وأوضح فيه، إذ تتخذ من الاتّكاء على تكرار المقاطع المكونة لبنية أكثر من لفظ أساساً لإحداث نوع من الإيقاع المتناغم؛ لتعلن بصدى ترجيعها الانسجام الموسيقي الذي يولّد الانسجام النفسي عند المتلقي ويزيد من التأثير في أعماقه(44).

فتكرار عبارة (سمحاً إذا) في قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «**رحمَ اللهُ عبدا سمحاً إذا باعَ، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا قضى، سمحاً إذا اقتضى**» (45)، أربع مرّات قد أسبغ تناغما موسيقيا تراتبيا لافتا للانتباه؛ إذ كوّن بإتحاد بنيات التكرار على هذا النسق شكلا كليا مبهرا، تتآلف فيه الأنساق المكررة والفواصل المتشابه والوزن

المتساوي، لاسيما في العبارات الثلاث الأخيرة: (سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا قضى، سمحاً إذا اقتضى).

ومثل هذا التآزر نلمسه ولكن بشكل مختلف في قوله صلوات الله عليه وآله: «**السخيُّ قريبٌ من اللهِ، قريبٌ من النّاس، قريب من الجنة بعيد من النار. والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار. ولَجاهلٌ سخيٌّ أحبُّ إلى الله من عابدٍ بخيل**» (46)، فتكرارُ عبارة (قريب من) و (بعيد من) أربع مرات قد جعل التعبيرَ يأخذُ بُعدا موسيقيّا مميزا يتآزر فيه التكرار مع بنية الترادف أو التضاد ليكوّنا معا وحدةً متلاحمة الأجزاء، ذاتَ بناءٍ نسيجيٍّ وموسيقيٍّ موحّد، يأسر الآذان ويتمكّن من الألباب ويضفي على التعبير جماليّة وفنيّة بارزة بشكل واضح.

د-تكرار الجملة:لتكرار الجملة أثره الكبير في موسيقيّة النصوص الأدبية؛ لما يمثله من خاصية صوتية تعتمد على كمٍ من المقاطع يُحدث تكرارها ترددات نغمية تضفي على النص بهاءً وجمالا. ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «**رغُمَ أنفُ رجلٍ ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ علي، و رغمَ أنفُ رجلٍ دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له، و رغمَ أنفُ رجلٍ أدرك عنده أبواه الكبر فلم يُدخلاه الجنة**» (47)، فتكرار جملة (رغمَ أنفُ رجلٍ) ثلاث مرّات قد زاد من تطريب النص بموسيقى حافظت على تناغمها الصوتي الموحد بداية كل تعبير، وهو ما يسمى بالتكرار التدويمي الذي يُعرف بأنه ظاهرةٌ "إيقاعية تترى على المتلقي فتكبّل حواسه بفيضٍ موسيقيٍّ متوالٍ قوامه الكلمات المكررة" (48) ، ما يضفى لديه متعة فنية تجعله يستشعر و يتوقع بعد -العبارة الأولى- بدايةَ العبارة التي تليها، فيولد مثل هذا التكرار في المستمع حسّا بالتوتر والتوقع، وهذا يجعله مشدوداً ومثاراً، ومن ثَمّ يجعله يشعر بلذّة تَحَقُّقِ المتوَقّعِ، وكلّ ما في إدراكه لذّة فهو محبوب فيزاد تأثره بالنص ويتمكن منه معناه.

ومن التكرارات التي تملأ النصّ إيقاعا فضلا عن إفادة التوكيد قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «**والله لأغزونَّ قريشا، والله لأغزونَّ قريشا، والله لأغزونَّ قريشا، ثم قال: إن شاء الله**» (49)، وقوله صلوات الله عليه وآله في دعائه: «**الله الله ربي لا أشرك به شيئا، الله الله ربي لا أشرك به شيئا**» (50). اذ أراد الرسول الأعظم صلوات الله عليه

وآله أن ينبه المستمع إلى معنى الجملة بشكل كليّ فكرر جملة: (والله لأغزون قريشا) ثلاث مرات في الحديث الأول، وجملة: (الله الله ربي لا أشرك به شيئا) مرتين في الحديث الثاني، ما أدّى إلى حدوث إيقاع متراتب قوامه الجملة المكررة من ناحية، والى تنبيه المتلقي للمعنى المراد من الجملة من ناحية ثانية، من حيث إن التكرار هو إلحاح على شيء من جهة المتكلم محاولةً منه لشدّ انتباه المتلقي إليه.

هـ-تكرار الصيغة: وهو تكرار الصيغ المتماثلة في مواضع متعددة من العمل الأدبي، وكأنه يُخضع القول لقوانين خفيّة يلتزم بها الأديب بتكرار بعض عباراته أو أغلبها، فيتّخذ من تكرار هذه الصيغ وبعض المفردات مرتكزاً صوتياً يشعر الأذن بالانسجام والتوافق والقبول، فيضفي على النصِّ إيقاعا متوازنا يزيد من التطريب والتناغم الموسيقي، ما يجعله أكثر إمتاعا وتأثيرا في المستمع (51).

ومن تكرارات الصيغ في الأحاديث النبوية الشريفة قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «**لا طلاق فيما لا تملك، ولا عتق فيما لا تملك، ولا بيع فيما لا تملك**» (52)، إذ تكررت هنا صيغة العبارة الأولى وهي:

لا النافية للجنس + اسم لا + فيما + لا النافية + كلمة (تملك)

ثلاث مرات ليحمل القول بهذا التكرار نغمة موسيقيّة متراتبة لها وقعٌ خاصٌ على أذن المستمع، فتزيد التعبيرَ تطريباً وجمالاً، ومن ثمّ تأثيراً قوياً في المستمع.

لا النافية للجنس + في + اسم مجرور + إلا + مع + اسم معرف بأل مجرور

ثمان مرات، ما أسبغ على التعبير موسيقى متناغمة متوازنة تشدّ بتراتبيتها المستمع، وتأسره جمالية الصيغة المتكررة وتسترعي منه شديد الانتباه.

ومثل ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «**حُفّتْ الجنةُ بالمكاره، وحُفّتْ النارُ بالشهوات**» (53)، وقوله صلى الله عليه وآله: «**رضا الربِّ في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**» (54)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «**علموا رجالكم سورة المائدة، وعلموا نساءكم سورة النور**» (55).

ومما مرّ نستنتج أنّ التكرار بأنواعه في النصوص الشريفة لم يأتِ مُقحمًا تمجّه الأسماع، وترغبُ عنه النفوس، و إنما عفويا لذيذا وفي صور شتى، ما أحدث تنوعا في النصوص، وراحةً ومتعةً لدى المتلقي، و أنّ التكرار في الحديث النبوي الشريف قد تجاوز الوظيفية التأكيدية الإفهامية، المعروفة لدى العامّ والخاص، ليصبح تقنيّة جمالية تختلف درجتُها وطريقتُها، إذ نجده يتلون ويتغير في النص الشريف، مرتديا في كل مرة مسوحا مختلفة، وهذا يجعل القيم الموسيقية ومنها التكرار من أساسيات تحديد قيمته الجمالية(56).

2_ **السجع**: أما السجع فقد عرفه "الخطيب القزويني" بأنه: "تواطؤ الفاصلتين، وهو في النثر كالقافية في الشعر" (57) وهو ثلاثة أنواع:

أ- **السجع المطرف**: وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان في الحرف الأخير واختلفت في الوزن، ومثاله ما رواه ابن حبان من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "**رب تقبل توبتي، وأغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي** " (58). نلاحظ أن دعوتي وحجتي تتفقان في الفاصلتين " تي " وتختلفان في الوزن.

كقوله صلى الله عليه وآله وسلّم: "**اطّلعتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**" (59)، فلفظة (الفقراء)، ولفظة (النساء) انتهت بفواصل متشابهة دون الوزن، إذ إن وزن (أهلها الفقراء) هو: فاعلن فعِلات، ووزن (أهلها النساء) هو: فاعلن فعول، وعلى الرغم من اختلاف الوزن إلا إن النهايات المتشابهة، وانسجام أصوات تلك الكلمات بطريقة حسنة تطرب لها الأذن يكسب الكلام جرسا موسيقيا له تأثيره ووقعه في النفس(60).

ب- **السجع المتوازي**: ما اتفقت فيه الفاصلتان في الحرف الأخير والوزن، ومنه ما رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " **إنّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**" (61)، نلاحظ تشابها في الحرف الأخير، وفي الوزن بين زانه وشانه.

ج- **السجع المرصع**: وهو ما اتفقت فيه كلمات الجملة الأولى مع كلمات الجملة الثانية في الوزن والحرف الأخير، ومثاله ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **ما من يوم يصبح العباد فيه إلاّ ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر: اللّهم أعط ممسكا تلفا**" (62).

ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم: «**... أقدمكم سلما، وأكثركم علماً، وأعظمكم حلماً، علي بن أبي طالب**» (63). فكان بالإمكان أن يقول صلوات الله عليه: علي أعلمكم، ويسكت فيؤدّى المعنى المطلوب، أو يقول في العبارة الثانية: أقدمكم إسلاما، وتؤدي أيضا ما أريد منها من معنى، ولكنّ العبارة تفقد في كلتا الحالتين جزءا كبيرا من الانسجام الصوتي والموسيقي، ونوعا مهما من المنبّهات التي تجعل الذهن مهيّئا لعدد من التتابع النغمي المريح، فالوزن يجسِّم الاهتزازات العاطفية ويحرِّك الخيال، ويثير الانتباه لمتابعة الاستماع (64) والانجذاب نحو النصّ.

تجدر الإشارة إلى أنه من الخطأ التكلف في الموسيقى الداخلية وجعلها أداة توجه معاني الكاتب، وإلا صارت ضريبة مفروضة كالبديع الذي حين يتكلف فيه ويخرج عن المعنى المطبوع يصبح مكروها؛ لأنه عوض أن يزين الكلام يقبحه وينزل به إلى أحط الدركات. ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن سجع الكهان لما فيه من تصنع وتكلف واضحين(65).

ولعل سياق النهي يوضح ذلك، فقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي جاء في البخاري "من رواية أبي هريرة، بدية لجنين قتلته امرأة من هذيل وأمه الحبلى به، فقال ولي المرأة التي غرمت: يا رسول الله كيف أغرم ما لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يطل، فاستشعر النبي صلى الله عليه وسلم التكلف والتصنع، ونهى عن هذا النوع من السجع؛ لأنه شبيه بسجع الكهان" (66). إذن فالنهي لا يشمل جميع أنواع السجع وإلا ما وجدنا الأحاديث المسجوعة في كلامه صلى الله عليه وسلم.

نخلص من خلال هذا البحث أن الرسول صلى الله عليه وسلم امتاز بمجموعة من الصفات الدالة على بلاغة كلامه وفصاحة لسانه، والمتمثلة في:

- ✓ جمالية الصوت.
- ✓ حسن الأداء.
- ✓ التناسق بين عبارات كلامه للتأثير على نفسية المخاطب.
- ✓ التناغم في الإيقاع الداخلي للحروف والكلمات والعبارات التي كان يستعملها.
- ✓ المحسنات البديعية وخاصة السجع و التكرار.

كل هذه الصفات ساهمت بشكل كبير في نجاح حواراته صلى الله عليه وسلم مع الآخر، وفي إبلاغ رسالته.

الهوامش:

1 . الرماني النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلو إسلام، دار المعارف، مصر، ط4، ص:75.

2 . محمد رجب البيومي، البيان النبوي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سنة 1987م، ص:249.

3 . أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

4 . الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، تحقيق الدكتور مصطفى البغا، ط1، مطبعة الهندي، دمشق، 1976م .

5 . محمد رجب البيومي ن البيان النبوي ص 250.

6 . الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب البر و الصلة و الآداب باب قبح الكذب و حسن الصدق و فضله، تحقيق شعيب الأرنؤوط ،ط2 سنة 1993.

7.عزيز العمراني الإدريسي باحث دكتوراه في علوم التربية-المغرب ، مقال مستوى الإيقاع في الحديث النبوي الشريف، ؛ شبكة ضياء ، ليوم 04 أكتوبر 2017.

8. حازم كريم عباس، القيم الجمالية في الخطاب النبوي الشريف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه فلسفة،كلية الآدب، جامعة القادسية 2012.ص27.

9.ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، دار الرشيد للنشر ، بغداد، 1980م: ص239.
10. حازم كريم عباس، القيم الجمالية في الخطاب النبوي الشريف، ص 29.
11. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، (456ه) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م: 2/ص 73.
12.ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ط1، 1969م:5 /ص34-35.
13. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 2/ص73.
14. ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، دار الكتب العلمية بيروت 1973،ص 163.
15. نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، ط2-1983م، ص263
16.محمد بن أحمد وآخرون، البنية الإيقاعية في شعر عزّ الدين المناصرة،منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1998م، ص83
17.محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري: (البنية الصوتية في الشعر، الكثافة، الفضاء، التفاعل)، ط1، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء المغرب،1990م،ص90.
18 .ثائر عبد المجيد العذاري، الإيقاع في الشعر العربي الحديث في العراق، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية، 1989م، ص 218.
19.عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1992م : 1/ص 322.
20. . ينظر رسول بلاوي، مقال ظاهرة التكرار و دلالتها الفنية في شعر الدكتور علي مجيد البديري، صحيفة المثقف قراءات نقدية (أدب المسرح)، العدد 4267.
21. عزيز العمراني الإدريسي باحث دكتوراه في علوم التربية-المغرب ، مقال مستوى الإيقاع في الحديث النبوي الشريف، ؛ شبكة ضياء ، ليوم 04 أكتوبر 2017.
22.كمال محمد بشر، علم اللغة العام (الأصوات)، دار المعارف بمصر، ط4، 1970م، ص 216

23.موسى ربابعة، التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية، ، مجلة مؤته، م5، ع1، 1990 م، ص 167.

24.حازم كريم عباس، القيم الجمالية في الخطاب النبوي الشريف، ص 31.

25.المرجع نفسه ص 31.

26.موسى ربابعة، التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية،ص 167.

27.المرجع نفسه ص 33.

28. نفسه ص 33.

29. نفسه ص 34.

30. نفسه ص 34.

31.مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987م ص 52

32.منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، 1986م، ص 23 .

33.حازم كريم عباس، القيم الجمالية في الخطاب النبوي الشريف، ص 42.

34.المرجع نفسه ص 42.

35.عزيز العمراني الإدريسي باحث دكتوراه في علوم التربية-المغرب ، مقال مستوى الإيقاع في الحديث النبوي الشريف، ؛ شبكة ضياء ، ليوم 04 أكتوبر 2017.

36. صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: " أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ",

37. ينظر عزيز العمراني الإدريسي ، مستوى الإيقاع في الحديث النبوي الشريف، باحث دكتوراه في علوم التربية-المغرب,شبكة ضياء 04 أكتوبر 2017.

38. صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب التوبة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، عام1993م.

39. ينظر عزيز العمراني الإدريسي، باحث دكتوراه في علوم التربية -المغرب ، مقال مستوى الإيقاع في الحديث النبوي الشريف، شبكة ضياء ليوم 04 أكتوبر 2017 .

40. المرجع نفسه.

41. نفسه .

42.سنن ابن ماجة 636/1، سنن الترميذي 369/5، صحيح ابن حبان 492/9،484.
43. ينظر عزيز العمراني الإدريسي، باحث دكتوراه في علوم التربية -المغرب ، مقال مستوى الإيقاع في الحديث النبوي الشريف، شبكة ضياء ليوم 04 أكتوبر 2017 .
44. المرجع نفسه.
45.صحيح ابن حبان: 267/11، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي: 12/ 2.
46.المعجم الأوسط للطبراني: 27/3، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي: 67/2.
47.سنن الترمذي 210/5، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي: 15/2.
48.يوسف طارق جاسم السامرائي، البناء الفني في شعر أبي العتاهية، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1994م ص: 89
49.صحيح ابن حبان: 185/10، السنن الكبرى للبيهقي: 47/10.
50.السنن الكبرى للنسائي 166/6، صحيح ابن حبان 146/3.
51.ينظر عزيز العمراني الإدريسي، باحث دكتوراه في علوم التربية -المغرب ، مقال مستوى الإيقاع في الحديث النبوي الشريف، شبكة ضياء ليوم 04 أكتوبر 2017 .
52. وقد روي هذا الحديث برواية أخرى نصّها: «لإطلاق فيما لا تملك، ولا عتاقة فيما لا تملك»، ينظر الاستذكار لابن عبد البر: 190/6.
53.صحيح مسلم: 142/8، سنن الترمذي: 97/4.
54.سنن الترمذي: 207/3، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي: 15/2.
55. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي: 162/2.
56.ينظر عزيز العمراني الإدريسي، باحث دكتوراه في علوم التربية -المغرب ، مقال مستوى الإيقاع في الحديث النبوي الشريف، شبكة ضياء ليوم 04 أكتوبر 2017 .
57. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، الجزء الثاني، المكتبة الأزهرية للتراث، ط3، 1994م: 6/ص109.
58. صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الأدعية.
59. حازم كريم عباس، القيم الجمالية في الخطاب النبوي الشريف، ص 141.

60. المرجع نفسه، ص 142.
61. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق.
62. صحيح البحاري، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: "فأما من أعطى واتقى".
63. حازم كريم عباس، القيم الجمالية في الخطاب النبوي الشريف، ص 142.
64.ينظر رجاء عيد: التجديد الموسيقي في الشعر العربي، دراسة تأصيليّة بين القديم والجديد لموسيقى الشعر العربي،مكتبة المعارف بالإسكندرية ص 37.
65. ينظر عزيز العمراني الادريسي باحث دكتوراه في علوم التربية – المغرب ، مقال المستوى الإيقاعي في الحديث النبوي الشريف، ، شبكة ضياء، ليوم 04 أكتوبر 2014
66.صحيح البخاري كتاب الطب، باب الكهانة.